## المحاضرة الثامنة: الموضوعية والذاتية:

### 1- تعريف الموضوعية:

**تشير إلى الالتزام بالموضوع مثار النظر، وتتناوله بالبحث والدراسة بعيدا عن تطلعاتنا وتحيزاتنا وآرائنا المسبقة ورغباتنا،**

**ومن ثم في ترادف (الحياد) وتقابل (الذاتية) وتعبر عن القدرة على استبعاد المشاعر والعواطف عند تناول الوقائع وتفسيرها وعدم إصدار أحكام أخلاقية أو قيمية بشأنها.**

**وتعرف على أنها" معالجة الظواهر باعتبارها أشياء لها وجود خارجي مستقل عن وجود الإنسان، والشيء الموضوعي هو ما تتساوى علاقته بمختلف الأفراد الملاحظين مهما اختلفت الزاوية التي يلاحظون منها، والباحث الذي يتحرى الموضوعية في الدراسة يتناول الظاهرة كما هي وفي صورتها الواقعية، الحياد التام وعدم التحيز.**

**كما يعرفها " صلاح قنصوه بأنها " غياب لكل عوامل التحيز، وكف لتأثيرها.**

**أما "جيبسون " فيعرفها بأنها " ما ينتج عن التأثير المناوئ للاستخدام السليم للشواهد ، والبيانات المتاحة للباحث ، وهو تأثير دوافع الشخص وعرفه وقيمه وموقفه الاجتماعي ، فأن تكون موضوعيا معناه " ألا " تتأثر بدوافعك وعرفك وقيمك وموقفك الاجتماع.**

**ويمكن تصور حجم دور مصطلح الموضوعية بالنظر إلى دلالاته بحسب مستويات مختلفة في دائرة الفكر والعلم، وهي:**

1.دلالتها القيمية : **تعد الموضوعية تجردا من كل حكم من الأحكام القيمية.**

2.دلالتها المعرفية : **وهي تتجاوز التعريف التقليدي "معرفة الأشياء كما هي" إلى العناية بالصلة بين الذات العارفة والموضوع المعروف.**

3.دلالتها النفسية : **تعد تمحيصا لأثر العوامل النفسية في تشكيل المعرفة.**

4.دلالتها الثقافية : **التي تشير إلى الاتفاق أو التواضع حول المعايير والتدابير السائدة في المناخ الفكري عند بحث موضوع ما ، والسائد هو ما اتفق عليه المجتمع العلمي في ذاك الوقت.**

### 1- الذاتية:

**وتعرف بأنها: " خاصية ما هو ذاتي، ويمكنها أن تشير أيضا للذات نفسها كمفهوم وليس كفرد.كما تقضي بإتباع ميولنا وأهوائنا، مواقفنا الشخصية ورغباتنا الفردية .**

**غير أنه لا يمكن تحديد وفهم الذاتية في البحث العلمي إلا بردها إلى نقيضتها ألا وهي الموضوعية؛ إذ لم يصل الإنسان إلى إدراك أهمية الموضوعية وضرورتها إلا بعد أن عرف وضع الحدود التي تفضل عالم الذات عن عالم**

**الموضوع، وعدم تصوير الموضوع من خلال الذات بكل ما تحمله من الأهواء والانفعالات والتصورات الوقتية التي ترافق عملية الإدراك في بعض الأحيان، ثم التركيز على فهم الموضوع من غير أن يكون للذات أي دور سوى الفهم والإدراك بعيدا عن الأهواء والميول المتباينة والتصورات.**

**حيث يقول " هوسرل" في هذا الصدد " إن وراء كل تفكير علمي واقعي خبرات ما هوية ذاتية غير تجريبية تكون حدسية وليس استدلالية، إنه القدرة على إيجاد معنى لما يعايشه المرء نفسه أو يعايشه شخص آخر، إنه فعل وليس استبطانا. إنه تأمل انعكاسي يكون محاولة فهم، فهو بمثابة الجهد الفعال لذات شخص يفهم معنى خبرته.**

كما تعرف أيضا هي نظام مكون من سلسلة من الحواس و المعاني المتعلقة بالفرد و المجال الاجتماعي، و تشكل بشكل متبادل الذاتية الاجتماعية و الذاتية الفردية و أنها تمثل نوعا جديدا من التعريف الوجودي للنفسية البشرية كنظام معقد يتجاوز وظائف النفس كنظام للتكيف الفردي، و بصفة أخرى الذاتية الاجتماعية يمكن فهمها على أنها إنتاج عاطفي و رمزي يشكل حالة منهجية جديدة للتنظيم الاجتماعي حيث يتم تنظيم جميع الممارسات البشرية ثم تصبح الذاتية الفردية إنتاجا يتم تكوينه على المستوى الشخصي كتعبير عن التجربة الفردية.

## 2- الفرق بين النزعة الموضوعية و النزعة الذاتية :

يمكن تعريف الأمور الموضوعية على أنها تلك التي يمكن قياسها و ملاحظتها و إقامة الرابطة فيما بينها، ولا يوجد بديل لها لتوفير المعرفة العلمية حول السلوك البشري. ولكن إذا كنا لا نعرف شيئا عن السلوك البشري، فهل يمكننا أن نعرف شيئا عنه باعتباره شيئا مجردا. وإذا كان ما يفعله الناس يعتمد إلى حد كبير على حالاتهم العقلية أو اتجاهاتهم فهل لا توجد هذه الأشياء أي العقل و الاتجاه؟

والواقع أن هناك العديد من الدراسات التي حاولت قياس الجانب الذاتي للسلوك بالتركيز على الجوانب الموضوعية للفعل، و مع ذلك قد يكون لدينا اتجاهات معينة ثم نأتي بأفعال نخالفها لاعتبارات مختلفة لا يعلمها إلا الفاعلون أنفسهم، وإذا كان كذلك فما هي درجة الصدق المتوفرة في قياسنا للجوانب الذاتية ؟ولم التناقض؟إن الخبرة الذاتية هي وحدها القادرة على تفسير التناقض بين الاتجاه و الفعل.أما المنظور الموضوعي فلا يمكنه تقديم تفسيرا لهذا التناقض.

ولنسق مثلا لما يمكن أن يعتبر حقائق فعلية ملموسة :فإذا أخذنا إحصاء الوفيات و بيانات الهجرة و رسمنا صورة إحصائية لتوزيع الأعمار و الجنس و المهنة و حركة الناس، و كلها أمور وضعية، و سألنا السؤال النظري التالي، لماذا تأخذ هذه الأشياء الموضوعية هذا الاتجاه بعينه ولا تأخذ اتجاها آخر!! إن المنظور الموضوعي لا يمكن أن يذهب بنا أبعد من ذلك الوصف الذي قدمه ، إذ أن هذا السؤال و غيره من الأسئلة المتعلقة بالإرادة و الاختيار و الاعتقاد و القيم وغير ذلك تخرج عن دائرة الأشياء الموضوعية البحتة ، و لهذا استمد الجانب الذاتي قوته و اكتسب الموقع الذي احتله. و تبدأ الذاتية بمفهوم الإرادة و بياناته الأولية.

و سنسلم منذ البداية مع البعض بوجود خطأ ما في وجهة النظر الذاتية، إذ أن الأشخاص الذين يهتمون بدراسة التنظيمات الاجتماعية يسعون لفهمها في سياقات تتعلق بمدى قابلية تلك التنظيمات لتطبيق الجانب الإنساني، ولكن من وجهة نظر الموضوعية فلا توجد طريقة مبدئية للتحقق من القضايا التي صيغت حول المجتمع البشري والإنسان في السياقات الذاتية، لان التحقق يعتمد على تناول الجانب المادي الخارجي الذي يكون صادقا إلى حد ما. وإذا كنا نجد أن جوهر النزعة الذاتية هو صياغة تصورية للخبرة الداخلية التي يمكن تعيين وجودها بوصفها للآخرين دون برهنتها كشيء واقعي عندها يمكن للباحث التحكم بها وإخضاعها للقياس.

وتميل النظرة الذاتية للطابع النمطي المثالي، فبمدى ما يصيغ الإنسان خبرته في مصطلحات ذاتية كالنظريات يمكن توقع نتائج معينة، وفي ذلك ممكن أن نأخذ النموذج المثالي للبيروقراطية لماكس فيبر كمثال لذلك، فقد اهتم فيبر بفهم

البيروقراطية كشكل للنظام الاجتماعي ووجد أن للبيروقراطية خصائص عدة تساعد على فهمها، ومن ثم صاغ نموذجا مثاليا وهو بناء عقلي يحدد البيروقراطية وفقا لهذه الصفات الأساسية. و استنتج أن استخدام النموذج المثالي، أي لا نحاول التحقق من النظرية بل نستخدمه كمرشد لاكتشاف شيء ما وحقيقي في حالة خاصة. و يقوم النموذج المثالي على متغير ذاتي و يتطور من خلال الوصف و هو غير قابل للتحقق، غير انه مفيد و نافع.

والواقع أن النموذج المثالي ليس فرضا ولكنه يتضمن في بناءه فرضا معينا أو عدة فروض، وإذا كنا نصيغها للاسترشاد بها في تناول شريحة اجتماعية معينة من الواقع ليتحقق وضوح الرؤيا بأبعاد هذه الشريحة وخصائصها، فإن توفر هذه الخصائص في تلك الشريحة على نحو ما تضمنه النموذج قد يجعلنا نرفع من مستوى الفروض لإخضاعها للقياس والتحقق.

إن قدرة العالم على ترجمة خبرته الذاتية هي ترجمة صادقة تجعل النظرية أكثر اتساقا مع طبيعة الواقع المدروس في ضوئها. و ذلك بدوره يعني أن الخبرة الذاتية إذا ما توفرت لصاحبها المعرفة و الوضوح أمكنه ترجمتها أو صياغتها بصورة تجعلها أكثر قابلية للتحقق. فضلا عن كون الخبرة الذاتية هي محصلة لتفاعل الأشخاص مع الواقع الذي تراكمت حوله المعرفة. وبذلك فالمشكلة لا تكمن في طبيعة الجانب الذاتي بقدر ما تكمن في قدرة الشخص على صياغة تلك المعرفة صياغة صادقة تعكس كل ملابساتها و ظروف ارتباطها بالواقع لكي ترقى تلك والمعرفة للمستوى الذي يقربها من التحقق و إخضاعها للقياس. وإذا كانت النزعة الذاتية تلعب دورا على مستوى صياغة النظريات الاسترشادية، والتي تتأثر بقدرة العالم على صياغة خبراته الذاتية في بناء نظري معين تتحدد صلاحياته لنقل هذه الخبرة بمعرفة العالم، و قدرته على الصياغة الدقيقة، فإن ذلك يكون على مستوى التعدد النظري الذي يسبق الصياغة النظرية العامة التي تتناول أكثر جوانب الواقع اختلافا و تنوعا، والتي تقوم على قضايا محددة قابلة للقياس و التحقق.